## نموذج الإجابة

**الكلية: كلية الآداب**

**القسم: اللغة العربية**

**المادة: مدخل إلى البلاغة** (لائحة جديدة).

**دور التخلفات: من الفرقة الأولى**

**أستاذ المادة: د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية**

**تاريخ الامتحان:**

==========

**إجابة السؤال الأول:**

**مرت البلاغة العربية بأربع مراحل.. منها المرحلة الثانية وهى مرحلة النمو والتأليف**

إن التأليف في البلاغة على وجه الخصوص لم يظهر إلا في أواخر القرن الثالث الهجري على يد عبدالله بن المعتز (المتوفى ٢٩٦هـ) الذي ألف كتابه الشهير: (البديع) فهو أول كتاب يخصّ البلاغة بالتأليف والتصنيف.

يقول د. مازن المبارك: «وضع ابن المعتز كتاب: (البديع) فكان أول كتاب استقرت فيه صياغة نظرية لبعض الفنون البلاغية، ذلك أن الذين سبقوا "ابن المعتز" كانوا يتعرضون للموضوعات البلاغية وهم بصدد أبحاث قرآنية أو لغوية، أما هو فقد عمد إلى التأليف البلاغي عن قصد، وجعل من البلاغة غاية تأليفه»

### كتاب (البديع) لعبدالله بن المعتز ـ المتوفى ٢٩٦هـ

يقول "عبد الله بن المعتز" في كتابه "البديع": «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه»

ولا يعنى مصطلح "البديع" لدى "ابن المعتز" اقتصاره على الفنون البديعية كالسجع والطباق والجناس وإنما البديع عنده يدخل فيه فنون البلاغة أيضًا، ومنها الاستعارة. فمن المعروف أن الاستعارة تدخل ضمن مباحث علم البيان، ورغم ذلك لم يميز "ابن المعتز" تمييزًا دقيقًا بين علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، ولذا عدّ الاستعارة ضمن فنون البديع، فيذكر:

«الباب الأول من البديع وهو الاستعارة قال الله تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب". وقال: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة". وقال: "واشتعل الرأس شيبًا". وقال: "أو يأتيهم عذاب يوم عقيم". وقال: "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار"»

وفى موضع آخر من كتاب "البديع" "لابن المعتز" يقول:

«ومن الاستعارة قول امرئ القيس من الطويل:

وليلٍ كموج البحر مُرْخٍ سُدوُلهُ ... على بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل

هذا كله من الاستعارة لأن الليل لا صلب له ولا عجز»

إذن يعدُّ "عبد الله بن المعتز" أول المصنفين في علوم البلاغة العربية، حيث يرى الدكتور شوقي ضيف أن: «ابن المعتز أوّل مَن صنف في البديع ورسم فنونه وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البيِّنة والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إمامًا لكل مَن صنفوا في البديع بعده، ونبراسًا يهديهم الطريق».

لم تقتصر مرحلة التأليف في البلاغة على كتاب (البديع) وحسب، فقد تلته مجموعة من الكتب ....

## كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر

## المتوفى ٣٣٧هـ

يعدُّ كتاب (نقد الشعر) لـ (أبي الفرج قدامة بن جعفر المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م) من أهم الكتب التي حولت البلاغة العربية والنقد العربي إلى علم، ففي هذا الكتاب وضع "قدامة" أن الأساس النظري الدقيق للبلاغة والنقد وقد كانا فيما مضى عبارة عن ملاحظات انطباعية متناثرة هنا وهناك. وتوصل قدامة إلى التعرف على مجموعة من الفنون البلاغية التي لم يسبق أحد إلى اكتشافها فوضع لها المصطلحات وجلب لها الشواهد الشعرية الدالة عليها.

ففي الفصل الثاني من كتاب "نقد الشعر" لـ "قدامة بن جعفر" يتحدث عن نعوت الشعر أو أغراضه، فيذكر التشبيه، وهنا خلط بين الأغراض الشعرية والفنون البلاغية البيانية، فمن المعروف أن التشبيه هو فن من فنون البيان، وما يهمنا هو طريقة التأليف، حيث يبدأ "قدامة" بتعريف التشبيه أو ذكر معناه ثم يسوق الأمثلة الدالة عليه فيقول:

«إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يُشبّه بنفسه، ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة أتحدا، فصار الاثنان واحدًا. فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما، ويوصفان بهما، وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، وإذ كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد»

وفى النص السابق يؤكد "قدامة" أنه لا يمكن تشبيه الشيء بنفسه فلا أقول مثلاً: الشمس كالشمس في الضياء أو القمر كالقمر في البهاء. كما أنه لا يمكن تشبيه الشيء بغيره إلى درجة الاتحاد بمعنى أن يصبح الشيء شبيهًا للشيء في كل الوجوه والصفات فكأنه هو هو، ولكن لابد أن يقع التشبيه بين شيئين يشتركان في وصف ما ويفترقان في أوصاف أخرى، ولهذا يرى "قدامة" أن أحسن التشبيه هو ذلك التشبيه الذي يجمع شيئين يشتركان في صفات كثيرة ويفترقان في صفات أخرى، فهما أقرب إلى الإتحاد ولكنهما لا يتحدا.

ويضرب "قدامة" أمثلة دالة على التشبيهات الحسنة فيقول:

«ومن جيد التشبيه قول "الشماخ" يذكر لواذ الثعلب من العقاب:

تلوذُ ثعالبُ الشرفين منها *** كما لاذ الغريمُ من التَّبيعِ

وقد يختلف اللواذان (الهروب) بحسب اختلاف اللائذين (الهاربين)، فأما التبيع (الدائن) فهو ملحٌ في طلب الغريم (المدين) لفائدة يرومها منه (فائدة يرغبها وهى المال)، والغريم بحسب ذلك مجتهدٌ في الروغان في اللواذ خوفًا من مكروه يلحقه، وكذلك الثعلب والعقاب سواء، لأن العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته»

ولم يقتصر "قدامة" فى كتابه: (نقد الشعر) على التشبيه بوصفه فنًا من فنون البيان في البلاغة العربية، بل تحدث أيضًا عن كثيرٍ من الألوان والفنون البلاغية ولا سيما البديع، فيكتب "قدامة" عن: (الترصيع وصحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير والتتميم والمبالغة والتكافؤ والالتفات).

ولن نقف طويلاً عند هذه الفنون البلاغية فما يهمنا هو أن "قدامة" يدخل ضمن الممثلين للمرحلة الثانية من مراحل تطور البلاغة العربية وهى مرحلة: التأليف والتصنيف، فهو يضع المصطلح للظاهرة البلاغية ثم يبدأ في تعريفه ثم يأتي بالشواهد الشعرية الدالة عليه وأخيرًا لا يفوته التعليق على هذه الشواهد بالشرح والتوضيح.

ولذلك يؤكد د.شوقي ضيف على جهود "قدامة" في البلاغة العربية فيقول: « مما لا ريب فيه أن "قدامة" وُفِّق في هذا الكتاب توفيقًا منقطع النظير وهو توفيق جعل من يكتبون في البديع بعده يلهجون باسمه وفى مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين، وكذلك من كتبوا في عيوب الشعر ووجوه رداءته وفى مقدمتهم المرزبانى في كتابه الموشح»

==========

**إجابة السؤال الثانى:**

## الفصاحة في الاصطلاح

هي القدرة على التعبير عن المراد بلفظ فصيح صحيح، وسلامة التعبير وصحته تكون بالبعد عن اللحن والغرابة والتعقيد والتنافر ومخالفة القياس. وبذلك تشمل الفصاحة تحرى السلامة اللغوية والبيانية.

## الفصاحة في اللغة

هي الظهور والبيان، يقول "ابن منظور" في مادة فصح، الفصاحةُ: البيانُ، فَصُحَ الرجلُ فصاحة فهو فصيحٌ من قوم فُصَحاء. تقول: رجلٌ فصيحٌ، وكلامٌ فصيحٌ أي بليغ. ويقال أفصح الصبي أي بان كلامه وظهر منطقه، ويقال: فَصُحَ الأعجمي وأفصح؛ إذا خلصت لغته من اللُّكْنة واللحن، وانطلق لسانه بالعربية، ومنه قوله عز وجل: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي). أي : أبين مني منطقًا ، وأظهر مني قولاً.

## البلاغة في الاصطلاح

هي مراعاة مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، كما أن البلاغة تعنى الوضوح والإبانة، فالمتحدث لابد من أن يُبلغ المتلقي ما يريده في لفظ فصيح وقول بليغ ومعنى واضح، يراعى فيه مقتضى الحال، لأن لكل مقام مقال. فلا بد من

مراعاة مقتضى الحال، ومقتضى الحال هو الصورة التي تورد عليها العبارة البليغة، فالشكر والاعتذار مثلاً يقتضيان الإيجاز، والمدح والفخر يقتضيان الاطناب. وإيراد الكلام موجزًا في الشكر والاعتدار أو بالاطناب والتطويل في المدح والفخر مطابق لمقتضى الحال.

**البلاغة في اللغة**

البلاغة: اسم مشتق من الفعل (بلغ) الذي يعنى الوصول والانتهاء أو إدراك الغاية، حيث يُقال: بلغ المسافر المدينة أي انتهي إليها. وبلغ فلان مراده أي وصل إليه وأدركه.

**شروط فصاحة المفرد**

لكى تتحقق الفصاحة فى المفرد أى فى اللفظة المفردة أو فى الكلمة الواحدة لابد من البعد عن: (التنافر والغرابة ومخالفة القياس والكراهة فى السمع).

فأما عن التنافر: فهو تقارب مخارج الحروف، وهذا يجعل الكلمة ثقيلة على اللسان عند النطق بها. وأما عن الغرابة: فهو الاتيان بكلمة وعرة أو وحشية مما يجعلها صعبة على الفهم إذا يتضح معناها بمجرد سماعها، وتحتاج إلى شرح وتفسير. وأما عن مخالفة القياس: فهو مخالفة القواعد النحويَّة أو الصرفيَّة أو غيرها من قواعد اللغة، وهذا يجعل الكلمة خاطئة. وأما عن الكراهة فى السمع، فالمقصود ما يمجه السامع ويكره وقعه على أذنه، وبذلك فالحكم بحُسْن ما يُسمع من الألفاظ أو قُبْحه وكراهية سمعه يرجع إلى حاسَّة السمع. وفيما يلى تفصيل شروط فصاحة الكلمة:

**١. البعد عن التنافر..**

تبتعد الكلمة المفردة عن الفصاحة إذا تنافرت حروفها، وينتج هذا التنافر عن اقتراب مخارج الحروف، مما يؤدى إلى صعوبة النطق بها، ومن هذا القبيل:

. ما ورد على لسان أحد الأعراب عندما سُئل عن ناقته، أين تركها؟ فأجاب بقوله:

**تركتها ترعى الهُعْخُع**

إن كلمة (الهُعْخُع) هي: اسم عشب ينبت في الصحراء ترعاه الإبل، وواضح أنها كلمة ثقيلة على اللسان، عسيرة عند النطق بها. ومن ثم فهي غير فصيحة وحتى تتحقق فصاحتها لابد أن تكون متباعدة فى مخارج حروفها حتى يسهل النطق بها ويحسن سماعها.

يدخل أيضًا في باب التنافر، قول امرئ القيس يصف شَعر ابنة عمه:

**غَدائِرُه مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلى العُلاَ *** تَضِلُّ العِقَاصُ في مُثَنىً ومُرْسَلِ**

وصف الشاعر غدائر شعر ابنة عمه بأنها: مُسْتَشْزِرَاتٌ ومعناها مرتفعة إلى أعلى، وربما قصد أن خصلات شعرها كثيرة وكثيفة، ولذا تتزاحم على رأس محبوبته، وترتفع إلى أعلى عندما حركتها الريح. وواضح أن كلمة (مُسْتَشْزِرَاتٌ) غير فصيحة

لأن حروفها (السين والشين والزاي) متقاربة فى مخارجها، مما يجعلها صعبة على اللسان عند النطق بها وأيضًا ثقيلة على الأذن عند سماعها.

كما تدخل لفظة "الشُّرْسُوفُ" ضمن المتنافر وذلك في قول (تأبَّط شرًّا):

**قَلِيلِ ادِّخَارِ الزَّادِ إلاَّ تَعِلَّةً *** وَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ وَالْتَصَقَ المِعَى**

يرى البلاغيون أن قوله: (نشز الشرسوف) متنافرًا وثقيلاً، وغير فصيح

**٢. البعد عن الغرابة.**

إن إتيان المتكلم بكلمات غير شائعة، أو مهجورة الاستعمال، أو لم يتم تداولها واستخدامها بين الناس يجعل الكلمة غريبة عند سماعها، وغير مفهومة عند تلقيها، ومن ثم تخرج الكلمة من إطار الفصاحة، لغرابتها، وحاجتها إلى شرح أو توضيح، بل وربما اضطر المتلقي إلى البحث في المعاجم وصولاً إلى معرفة دلالتها المقصودة.

ومن هذا القبيل ما روى عن "عيسى بن عمر" النحوي، وقد سقط عن حماره فاجتمع الناس حوله فقال لهم مخاطبًا:

**"ما لكُمْ تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة ؟ !! افرنقعوا عني"**

من الملحوظ أن مقولته السابقة التي يخاطب بها الناس قد اشتملت على كلمات غريبة، يحتاج السامع إلى المعاجم وكتب اللغة ليصل إلى معرفتها، فمثلاً:

. تكأكأتم: بمعنى اجتمعتم.

. تكأكؤكم: بمعنى على اجتماعكم وازدحامكم.

. على ذي جنة: يريد بها المجنون أو الذي دخله جنى.

. افرنقعوا: بمعنى تفرقوا.

والمعنى: (إنكم اجتمعتم علىَّ وازدحمتم حولى .. كما تجتمعون وتزدحمون على المجانين أو المصروعين .. فابتعدوا أو انصرفوا بعيدًا عنى).

فالقائل يتعجب من اجتماع الناس حوله كما يتجمعون على شخص مجنون أو دخله جنى، ويطلب منهم التفرق والانصراف بعيدًا عنه، ولكن الناس استهجنوا كلماته، وذلك لغرابتها على مسامعهم، وحاجتهم إلى من يفسرها، أو من يبحث عنها في معاجم اللغة حتى يفهمها، ومن ثم فإن الكلمات: (تكأكأتم، تكأكؤكم، افرنقعوا) خارجة عن الفصاحة لغرابتها.

ويدخل ضمن الكلمات غير الفصيحة لغرابتها وقلة استعمالها، استخدام كلمة "عُسْلوج" بدلاً من: "غصن" و"حَقلد" بدلاً من: "البخيل أو سيئ الخُلُق"، "الإسفنط" بدلاً من الخمر، و"الخنشليل" بدلاً من السيف.

ولقد عاب "ابن الأثير" في كتابه "المثل السائر" على الشعراء لإتيانهم بمثل هذه الألفاظ الغريبة فيقول:

«فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك، ويثقل عليك النطق به؛ وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله، فتارةً يخف على سمعك ولا تجد به كراهة. وتارةً يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان أحدهما أنه غريب الاستعمال، والآخر أنه ثقيل على السمع، كريه على الذوق، وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ. ويسمى أيضًا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله معرفة هذا الفن أصلاً.

فإن قيل: فما هذا النوع من الألفاظ قلت: قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك:

**يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا *** جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَهَالِكِ**

فإن لفظة "جحيش" من الألفاظ المنكرة القبيحة ويالله العجب: أليس أنها بمعنى: "فريد". وفريدٌ لفظةٌ حسنةٌ رائقةٌ، ولو وضعت في هذا البيت موضع "جحيش" لما اختل من وزنه. فتأبَّط شرًّا ملوم من وجهين في هذا الموضع: أحدهما: أنه استعمل القبيح، والآخر: أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها.

ومما هو أقبح منها ما ورد "لأبي تمام" من قوله:

**قَدْ قُلْتُ لَمَّا اطْلَخَمَّ الأَمْرُ وَانبَعَثَتْ *** عَشْوَاءُ تَالِيَةً غُبْسًا دَهَارِيسَا**

فلفظة "اطلخم" من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة "دهاريس" أيضًا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسًا من جملتها:

**نعم متاع الدنيا حباك به ** أروع لا حيدر ولا جبس**

فلفظة "حيدر" غليظة وأغلظ منها قول "أبي الطيب المتنبي":

**جفخت وهم لا يجفخون بها *** بهم شيمٌ على الحسب الأغر دلائل**

فإن لفظة "جفخ" مرة الطعم وإذا مرت على السمع أقشعر منها وأبو الطيب في استعمالها كاستعمال تأبط شرًا لفظة جحيش.

فإن "تأبط شرًا" كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشرنا إليها فيما تقدم وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي "جفخت" فإن معناها فخرت والجفخ: الفخر يقال: جفخ فلان إذا فخر ولو استعمل عوضًا عن جفخت فخرت لاستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالأحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء»

تقف الألفاظ الغريبة سدودًا منيعة تحول بين المتلقي وبين فهم المعنى، فالسامع للفظة الغريبة يستثقلها، كما أنه لن يفهم معناها إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وعلى سبيل المثال: إن لفظة "الطرموق" تعنى "الطين"، ولفظة "الهزبر" تعنى "الأسد"، ولفظة "جحيش" تعنى "فريد"، و لفظة "اطلخم" تعنى "اشتد"، ولفظة "يعروري". تعنى "يركب"، ولفظة "المتديريها" تعنى "ساكنيها"، و لفظة "جفختُ" تعنى "فخرتُ".

ويرى "ابن الأثير" أن الأذن هي العضو الأساسي في إصدار الحكم على اللفظة بالاستحسان أو الاستهجان، لأن حاسة السمع هي المقياس فيقول:

«الألفاظ داخلة في حيِّز الأصوات، فالذي يستلذُّه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر منه هو القبيح، ثم استشهد بأن السمع يستلذُّ صوت البلبل وصوت الشحرور، بينما يكرَه صوت الغراب وينفر عنه»

لذا يدخل ضمن الغريب أيضًا استخدام كلمة: (البُعَاق) في سياق المطر، فالبُعَاق تعنى: (السحابة الممطرة) ولكنها غريبة على السمع لقلَّة استعمالها، خاصة إذا قِيست بكلمتي (الدِّيمَة) و(المُزْنَة). حيث يقول "ابن الأثير":

«إنك ترى لفظتي (المُزْنَة) و(الدِّيمة) وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال، وترى لفظ (البُعاق) وما جرى مجراه متروكًا لا يستعمل وإن استعمل فإنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة»

==========

## إجابة السؤال الثالث:

تحدث الجاحظ فى كتاباته عن البلاغة والخطاب، ولم يغب عن ذهنه دور الجسد فى الخطاب والتأثير، وكيف يقوم المتحدث بتوظيف جسده أثناء خطابه مع الآخرين، ومن ثم فقد أورد الجاحظ مجموعة من الأخبار، التى حكى من خلالها عن طرائق المتحدثين، وتفاعلهم مع المتلقين لخطابهم، كما صور بعض المتكلمين وقد خلى خطابهم من التأثير فى المتلقين، إذ جاء خاليًا من تعبيرات الوجه وحركة الجسد، فيحكى مثلاً، فى كتابه: "الحيوان" عن القاضي "عبدالله بن سوار وإلحاح الذباب" فيقول:

«كان لنا بالبَصرة قاضٍ يقال له عبدُ اللّه بنُ سوَّار، لم يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً، ولا وقوراً حليماً، ضبط من نفسه وملَك من حركته مثلَ الذي ضبَط وملَك، كان يصلّي الغداةَ في منزله، وهو قريب الدَّار من مسجده، فيأْتي مجلسَه فيحتبي ولا يتَّكئ، فلا يزالُ منتصباً ولا يتحرَّك له عضوٌ، ولا يلتفت، ولا يحلُّ حُبْوَته، ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه، حَتَّى كأنّه بناءٌ مبنيٌّ، أو صخرةٌ منصوبة، فلا يزال كذلك، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسهِ فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثمَّ يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقي عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق، ثمَّ يُصلِّي العشاء الأخيرة وينصَرف، فالحق يقال: لَمْ يُقمْ في طول تلك المدَّةِ والوِلايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء، ولا احتاجَ إليه، ولا شرِبَ ماءً ولا غيرَه من الشّراب، كذلك كان شأْنُه في طوال الأيام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها، وكان مع ذلك لا يحرِّك يدَه، ولا يُشيرُ برأسِه، وليس إلاّ أن يتكلم ثمَّ يوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة، فبينا هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه، وفي السِّماطين بينَ يديه، إذْ سقَطَ على أنفِه ذَبَابٌ فأطال المكث، ثمَّ تحوّل إلى مُؤْقِ عينه، فرام الصَّبر في سقوطه عَلَى المؤق، وعلى عضِّه ونفاذِ خرطومه كما رَام من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفِه من غير أن يحرِّك أرنبَته، أو يغضِّنَ وجهَهُ، أو يذبّ بإصبعه، فلمّا طال ذلك عليهِ من الذبَاب وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ، وقصدَ إلى مكان لا يحتمل التّغافُلَ، أطبَق جفنَهُ الأعْلى عَلَى جفنِه الأسفلِ فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن وَالى بينَ الإطباقِ والفتْح، فتنحَّى ريثما سكنَ

جفنُهُ، ثمَّ عاد إلى مؤقِه بأشدَّ من مرَّته الأولى فَغَمَسَ خرطومهُ في مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك، فكان احتماله له أضعف، وعجزُه عن الصَّبر في الثانية أقوى، فحرَّك أجفانَهُ وزاد في شدَّة الحركة وفي فتح العين، وفي تتابُع الفتْح والإطباق، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ما سكَنَتْ حركَتهُ ثمَّ عاد إلى موضِعِه، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَه وبَلغَ مجهُوده، فلم يجدْ بُدّاً من أن يذبَّ عن عينيهِ بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمُقه، وكأنّهم لا يَرَوْنَه، فتنَحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه، ثمَّ ألجأه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه، ثم ألجَأه إلى أنْ تابَعَ بين ذلك، وعلم أنَّ فِعلَه كلّه بعين مَنْ حَضَره من أُمنائه وجلسائه، فلمَّا نظروا إليه قال: أشهد أنَّ الذّباب ألحُّ من الخنفساء، وأزهى من الغراب وأستَغفر اللّه فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسُه فأراد اللّه عزّ وجلّ أن يعرِّفه من ضعْفِه ما كان عنهُ مستوراً وقد علمت أنِّي عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس، فقد غلَبَني وفَضَحَني أضعفُ خلْقِه ثمَّ تلا قولَهُ تعالى: "وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقذُوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطْلُوبُ".

وكان بيِّن اللِّسان، قليلَ فضولِ الكلام، وكان مَهيباً في أصحابه، وكان أحدَ مَنْ لم يَطْعَنْ عليهِ في نفسه، ولا في تعريض أصحابِه للمَنَالة»

## التحليل

فى الخبر السابق يركز "الجاحظ" على وصف هيئة القاضى، وبخاصة قلة الحركة التى رأى أنها تمثل نوعًا من الوقار، والوقار لازمٌ لشخص مثله يشغل مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس ألا وهى القضاء بينهم. فهو .كما يقول الجاحظ . لا "يتحرَّك له عضوٌ، ولا يلتفت، ولا يحلُّ حُبْوَته، ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه، حَتَّى كأنّه بناءٌ مبنيٌّ، أو صخرةٌ منصوبة".

وعلى الرغم من حالته هذه إلا أن الجاحظ أثنى على بلاغته وبيانه قائلاً: "كان بيِّن اللِّسان، قليلَ فضولِ الكلام، وكان مَهيباً في أصحابه". وهذا الحكم يجعلنى أطرح مجموعة من التساؤلات على طلابى الأعزاء:

كيف يمكنك أن تصف القاضي، هل هو شخصٌ بليغ؟! أم أن بلاغته لم تكتمل؟! وهل بيان لسانه يُغنيه عن الحركة الجسدية والإشارات المؤثرة فى المتلقين؟ أم أن المتلقين يحتاجون إلى مشاهدة شخص متحرك، متفاعل...؟!

ولكن بيان لسانه وحرصه على الإيجاز الذى يتماشى مع الوقار كان يحتاج إلى حركة جسده التى لا تقل تأثيرًا عن لسانه، فلو كان هذا الرجل يُحرك يديه، مشيرًا بهما أثناء كلامه لما استغرب الناس أمره مع الذبابة، ولكن هذه الحشرة الضعيفة أخرجته من سكونه وتكلفه ودفعته إلى الحركة.

إذن فنحن أمام «شخصية لا تمتثل لمعايير البلاغة على الرغم من سمتي بيان اللسان والإيجاز اللتين نُعِتَ بهما فى النص. ولعل الدليل الأقوى على تنكب القاضي لمقاييس البلاغة، هو استغناؤه عن الإشارة التى شكلت وسيلة من وسائل البلاغة بمفهومها السيميائى العام»

إن القاضي الذى استعاض ببلاغة اللسان وقدرته على الإيجاز والبيان لم تكتمل بلاغته اللسانية، لأنه قام بتعطيل حركة الجسد، وما تؤدى إليه الإشارات الجسدية من تواصل خطابي وتفاعل إيجابي مع المتلقين.

==========

**أطيب المنى**

**د. أحمد شحاتة علوانى**

**كلية الآداب . قسم اللغة العربية**